الفصل الثاني

تاريخ الصين الحديث (الفترة الأولى)

الفترة الأولى

من ١٨٤٠ م حرب الأفيون – حتى استيلاء الشيوعيين على السلطة ١٩٤٩

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الثاني

تاريخ الصين الحديث

(الفترة الأولى) من (١٨٤٠ - حرب الأفيون) حتى بداية الانفتاح الأمريكي مع الصين

تمتد هذه الفترة نحو ٨٠ عامًا، وتعتبر مرحلة هامة، حيث بدأت فيها حرب الأفيون (١٨٤٠) وحركة الرابع من مايو، رابع الحركات التحررية.

ففي أثناء هذه الفترة انتهت كذلك فترة حكم أسرة "كنج"(Qing)، وبدأت جمهورية الصين، وهى فترة شهدت قدوم الإمبريالية الغربية من الخارج، والإقطاع من الداخل مما جعلتا من الصين شبه مستعمرة مع حكم داخلي أشبه ما يكون بالإقطاعي.

وهى أيضًا فترة بدأ الشعب الصيني فيها نضالاً بطوليًا ضد الإمبريالية، وأذنابهم في الداخل. فبعد عام ١٩١٩ أصبحت قيادة الثورة الديمقراطية قد تسلم قيادتها طبقة البروليتاريا وحزبها السياسي، وكثيرًا ما سميت هذه الفترة السابقة على ١٩١٩ بأنها ثورة الديمقراطية القديمة، والفترة التالية لها أي بعد عام ١٩١٩ بفترة الديمقراطية الجديدة.[1]

أولاً: حرب الأفيون

حظر الأفيون

من المعروف أنه قبل العقد الزمني الرابع من القرن التاسع عشر، كانت بريطانيا أكبر دولة رأسمالية متطورة على مستوى العالم. وبعد أن أحكمت بريطانيا قبضتها على الهند، سارعت باستهداف الصين باعتبارها الهدف التالي من توسعها الاستعماري. وكانت الصين حينذاك عبارة عن مجتمع إقطاعي

(1) Chine Hand Book Series, History. (P.97).

منعزل يسكنها تركيبة من القرويين ، وفئات أخرى من الصناع اليدويين، باعتبار ذلك هو الأسلوب الغالب في عملية الإنتاج .

وكان الزراع يغزلون الخيوط في حين كانت المرأة الصينية تقوم بعملية النسج. وكانوا هكذا ينتجون ما هم بحاجة إليه بالنسبة للغذاء ، والملبس ، والضرورات اليومية، وكانت الأقطان المنسوجة ، والصوف المنسوج في بريطانيا لا يلقيان قبولاً في الصين. ونتيجة لذلك ، كان على طبقة الرأسمالية في بريطانيا أن تحمل كميات ضخمة من الفضة إلى الصين لقاء الحصول على الشاي ، والحرير ، وباقي المنتجات الصينية الأخرى .

ومن أجل استرداد ثروة الصين ، عمد الرأسماليون البريطانيون إلى اللجوء إلى التهريب المسلح ، والرشوة للمسؤولين الصينيين ، الذين سمحوا لهم حينذاك بشحن كميات ضخمة من الأفيون إلى الصين. وفي عام ١٨٢٠ بلغت كميات الأفيون التي صدرها هؤلاء إلى الصين نحو ٥٣٠ر٠٠٠ رطلاً من الأفيون ، وبلغت في عام ١٨٣٣ نحو عشرة أمثال هذا القدر .

وفي فترة سابقة على عام ١٨٤٠ بلغت ٢٠ سنة ، أصبح نزوح الفضة من الصين نحو ١٠٠ مليون تايل ، ومن هنا ارتفع سعر الفضة ، وأصبح عبء القرويين الصينيين ثقيلاً على نحو متصاعد ، ولقيت حكومة " كنج " صعوبات بشكل متزايد . وفي ذات الوقت فإن أعداد مدخني الأفيون قد زاد بشكل كبير جدًا ، كذلك أصبح الحكام الإقطاعيون في الصين يتسمون بالفساد، كما أن مقدرة الصينيين على محاربة الأجنبي قد تضاءلت ، وصار الإمبراطور الصيني" داو جوانج "(Daoguang) خائفًا من تهاوى سلطته كحاكم للصين، وفي ١٨٣٨ بعث بأحد مبعوثيه إلى منطقة "جوانجهو" برسالة تنص على وقف تجارة الأفيون .

ووصل هذا المبعوث إلى جوانجهو في مارس عام ١٨٣٩، وقام بتبليغ الأوامر لكافة تجار الأفيون بتسليم كافة ما لديهم منه – غير أن المشرف البريطاني على التجارة مع الصين تم إجباره على تسليم ما لديه من الأفيون والتى كانت

تزن نحو ١٦ر١ مليون كيلو جراما. وفي ٣ يونيه من نفس العام ، أمر المبعوث الإمبراطوري بالاستيلاء على كافة كميات الأفيون ، وأن يتم حرقها علانية أمام أعين الجماهير . وبعد تدمير هذه الكميات من الأفيون أصدر أوامره باستعادة تجارة الأفيون بين الصين وبريطانيا ، ولكن بشرط عدم السماح للتجار البريطانيين بأية حالٍ من الأحوال بأن يدخلوا إلى الصين أية كميات أخرى من الأفيون .

وفي يونيو عام ١٨٤٠ ، وتحت مسمى حماية تجارها ، قامت بريطانيا بإرسال أكثر من ٤٠ باخرة وأربعمائة جندي لمهاجمة المناطق الساحلية لمنطقة "جواندونج" . ومن هنا بدأت ما سمى بحرب الأفيون . وكان أهل منطقة " جوانجز هو" قد أعدوا أنفسهم للدفاع عن بلادهم ، لكن الغزاة الأجانب قاموا بمهاجمة جهات أخرى – مما جعل حكومة " كنج " (Qing) تعفي " لين زنكو " (المبعوث الإمبراطوري) من كافة صلاحياته .

وفي يناير من عام ١٨٤١ قام المندوب الإمبراطوري الجديد "كيشان" (Qishan) بالتفاوض مع الجيش البريطاني ، حيث تنازلت الصين نتيجة هذه المفاوضات عن " هونج كونج" لبريطانيا، وقامت بفتح ميناء "جوانجهو" (Guanghou) ليكون بمثابة ميناء تجاري . غير أن الإمبراطور " داو جوانج " (Dao Gueng) لما رأى أن التنازل عن الأراضي، ودفع تعويضات للبريطانيين كان بمثابة إهانة للسلطة الإمبراطورية ، قام بإعلان الحرب على بريطانيا . وفي فبراير عام ١٨٤١ ، قام البريطانيون مرة أخرى بالهجوم على " هيومين " (Humen)، كما قصف البريطانيون " جوانجز هو " (Guangzhou) بالمدفعية ، مما جعل الصينيين يرفعون العلم الأبيض بالاستسلام .

ولدى تلقي مسودة اتفاقية " شوانبي" (Chuanbi) لم يكن البريطانيون سعداء بما ورد فيها من بنود حيث اعتقدوا أنها ممالئة للصينيين . فبدلاً من التصديق على المعاهدة ، عمدت بريطانيا إلى إصدار أوامرها إلى هنري بوتنجر

على رأس ٢٦ سفينة حربية ومعها ٣٥٠٠ جندي إلى توسعة نطاق الحرب ضد الصينيين . هنالك بعثت حكومة " كنج" مبعوثًا إمبراطوريًا إلى السفن الحربية البريطانية لتوقيع وثيقة مذلة للصينيين عرفت باسم " المعاهدة الصينية – البريطانية نانكنج "[1]

ثانيا: معاهدة نانكنج

لقد تضمنت هذه المعاهدة ١٣ مادة ، وكانت الأولى بما سمى بعد ذلك " بالمعاهدات غير المتكافئة " التي وقعتها الصين مع المعتدين الأجانب. ونصت هذه المعاهدة على فتح خمسة موانئ (جوانجزو ، وفوز هو ، وإكسيامين ، وننجبو ، وشنغهاى) للتجارة ، والتنازل عن هونج كونج للبريطانيين ، إلى جانب دفع تعويضات قدرها ٢١ مليون ريال من الفضة . كذلك تضمنت المعاهدة النص على أن تخضع تعريفات البضائع البريطانية للتفاوض بين البلدين.

وفي عام ١٨٤٤ ، قامت كل من الولايات المتحدة ، وفرنسا بإجبار حكومة "كنج" (Qing) الصينية على توقيع معاهدة أمريكية – صينية ، ومعاهدة صينية – فرنسية . ومن خلال هاتين المعاهدتين اكتسبت كل من الولايات المتحدة ، وفرنسا كافة المزايا التي وردت في معاهدة " نانكنج " باستثناء التنازل عن الأراضي ، ودفع التعويضات . وبالإضافة إلى ذلك ، أكتسب الأمريكيون أيضًا المزايا الخاصة بإرسال بوارجهم الحربية إلى الموانئ الصينية " لحماية تجارة بلادهم". وكذلك بناء الكنائس ، والمستشفيات في تلك الموانئ التجارية الخمسة .

ويلاحظ من جهة أخرى ، أن توقيع معاهدة " نانكنج" ، وباقي المعاهدات غير المتكافئة كان يعنى أن الصين قد فقدت حقوقها كدولة ذات سيادة . وكان انسياب البضائع الأجنبية إلى الصين دون قيود قد تسبب في تفتت الاقتصاد الإقطاعي الصيني – وخطوة تلو الأخرى ، تحولت الصين إلى ما يشبه

(1) Chine Hand Book Series Ibid P.P. 99 – 100.

المستعمرة، ومجتمع صيني شبه إقطاعي. كذلك أصبح التناقض بين الأمة الصينية ، والرأسماليين الأجانب يزداد رويدًا رويدًا ليصبح تناقضًا رئيسيًا .

ومنذ ذلك التاريخ أصبح أمام الحركات الثورية في الصين هدف مزدوج ، إذ كان عليها مقاومة المعتدين الرأسماليين الأجانب من الخارج، كما أن عليها كذلك أن تحارب الإقطاعيين في الداخل .

ثالثاً: الحرب الصينية -اليابانية ، وأزمة تقسيم الصين بين القوى الإمبريالية

المخططات اليابانية تجاه الصين وكوريا

لقد كانت كوريا بالنسبة لعلاقتها مع الصين بمثابة " الشفة مع الأسنان " كما كانت تقول الأمثال حينذاك. فعلى مدى قرنين من الزمان، كان البلدان يتبادلان العلاقات الاقتصادية والثقافية . وحينما تم غزو كوريا من جانب الجيش الياباني بقيادة " هيديوشى" في أواخر القرن السادس عشر، قامت كوريا بمساعدة الصين لصد هذا الغزو. وكان من نتيجة ذلك ازدياد أواصر الوحدة بين الشعبين .

أما أثناء السبعينيات من القرن التاسع عشر ، وبعد قيام نهضة الميجى في اليابان (١٨٦٨ -١٩١٢) وانحياز اليابان نحو الرأسمالية، فإنها ارتبطت بقوة مع النظام الإقطاعي في ذلك البلد. وبدأت اليابان في تطوير خططها للغزو الخارجي على " مرحلة تلو الأخرى" للتوسع على حساب كل من كوريا وتايوان ، ومناطق الشمال الشرقي من الصين ومنغوليا ، وفي نهاية الأمر الصين بأكملها لو تسنى ذلك .

ولقد تواكب غزو كوريا مع محاولة الاستيلاء على تايوان . وفي عام ١٨٧٥ تمكنت اليابان من إجبار كوريا على الاستجابة لطلبها بفتح موانيها التجارية لليابان على سواحلها. لكن حكومة " كنج" (Qing) الصينية بدلاً من تقديم المساعدة لكوريا ، لمقاومة اليابان ، فإنها نصحتها في السر بأن تبدأ علاقات تجارية مع كلٍ من بريطانيا والولايات المتحدة، وفرنسا ، وألمانيا . وكانت هذه

النصيحة تتضمن أن ذلك سوف يكون بمثابة حائط صد لليابان. لكن الغزو الياباني لكوريا سرعان ما انتشر بشكلٍ سريع مع كل يوم يمر.[1]

وانتهزت اليابان حصول انقلاب بين الطبقة الحاكمة في كوريا ، وأرسلت قواتها في عام ١٨٨٤، وقبضت على أفراد الأسرة الحاكمة الكورية . وعمدت الصين تحت حكم أسرة "كنج" إلى أن تزج بروسيا القيصرية ضد اليابان. لكن اليابان كانت تستند إلى دعم الولايات المتحدة فمدت نفوذها إلى كوريا.

رابعاً: قيام الحرب الصينية -اليابانية ١٨٩٤/١٨٩٥

كان الشعب الكوري في عام ١٨٩٤ قد قام بانتفاضة ضد القهر الإقطاعي من ناحية والغزو الإمبريالي من جهة أخرى ، وطلبت الحكومة الكورية العون الصيني من حكومة "كنج"، لكن اليابان انتهزت الفرصة لغزو كوريا . وحينما وصلت القوات الصينية إلى كوريا ، كانت الانتفاضة قد انتهت سلفًا. وأرسلت حكومة "كنج" بمذكرة للحكومة اليابانية تقترح فيها إنسحاب القوات اليابانية. لكن اليابانيين رفضوا الجلاء عن كوريا، وقبضوا على الملك، وسيطروا على كافة النقاط الإستراتيجية المؤدية إلى العاصمة الكورية " سيئول ".

وفي عام ١٨٩٥ أجبرت اليابان حكومة " كنج" على التوقيع على معاهدة شيمونو سيكي (Shimonoseiki) حيث قبلت الصين وفقًا لهذه المعاهدة :

(١) التنازل عن خليج لياو تونج وتايوان لليابان .

(٢) وافقت الصين على دفع تعويض قدره ٢٠٠ مليون تايل لليابان لتغطية تكاليف الحرب .

(٣) منحت الصين لليابان حق إقامة الرعايا اليابانيين صناعات فيما سمى " بموانئ المعاهدة" الصينية .

لكن حكومة " كنج" الصينية حاصرت تايوان ، ومنعت ورود أية إمدادات إليها ، مما جعل من الصعب على شعب تايوان الاستمرار في نضالهم. وخلال

(1) Jian Bozan, Shao xunsheng, and Hu hua. Opcit. P.P. 108-109.

الخمسين سنة التالية – أى من ١٨٩٥ – ١٩٤٥ – حينما تم استعادة تايوان بعد الحرب العالمية الثانية رسميًا إلى الصين ، وواصل السكان صراعهم ضد الحكم الياباني ، وعودة جزيرة تايوان إلى الوطن الأم.[1]

خامسًا : تقسيم الصين إلى مناطق للنفوذ

لقد تصادف أنه في وقت الحرب الصينية – اليابانية ، أن كانت الرأسمالية الدولية قد وصلت إلى مرحلة الإمبريالية. واحتلت الاحتكارات محل التنافس، وصار تصدير رأس المال يتم بصوره المختلفة ومعانيه المختلفة. وكان لشروط معاهدة شيمو نوسيكي التي تم توقيعها كما أسلفنا بعد الحرب الصينية – اليابانية بأن جعل من المتاح أمام كافة القوى الإمبريالية إقامة صناعات لهم بحرية في أراضي الصين.

ومنذ ذلك الحين فصاعدًا صار تصدير رأس المال إلى الصين لإقامة مشروعات لهؤلاء الإمبرياليين هو الشكل الجديد للعدوان . ومن أجل تيسير استثمارات رءوس أموالهم في الصين ، بدأت مختلف القوى الإمبريالية تقطيع أوصال البلاد إلى ماسمى " بمناطق النفوذ".

وابتداء من ١٨٩٥ فصاعدًا ، انغمست القوى الغربية في نوع من التخاطف للاستيلاء على قواعد لعملياتهم . ففى عام ١٨٩٥ حصلت فرنسا على مناطق من إقليم يينان، أما بريطانيا، فلم يرقها حصول فرنسا على يينان ، وجواندونج وغيرها أن تصبح مناطق نفوذ لفرنسا، فقد استولت على " يير شان" (Yere shan) في منطقة يينان ذاتها ، بالإضافة إلى مدن أخرى. وأما ألمانيا فقد ضمنت لنفسها تأجير " جياوز هو" في ١٨٩٧، وقامت ببناء خط للسكك الحديدية يصل مابين جياوز هو إلى جينان (Jinan).

وسرعان ما قامت روسيا القيصرية هى الأخرى بالاستفادة من هذا "التخاطف" للسيطرة على أجزاء من الأراضي الصينية أهمها الأراضي الواقعة شمالي السور العظيم .

---

(1) Jian Bozan, Shaoxunsheng, and Hu hua Ibid. P.P. 110-111.

أما الولايات المتحدة ، فلم يكن لها منطقة نفوذ في الصين ، فبادرت بإعلان ماسمى " بسياسة الباب المفتوح " (Open Door Policy) في عام ١٨٩٩ ، وهى سياسة طُلب بمقتضاها من القوى الأخرى أن تُفتح الأبواب على مصراعيها على الأراضي التابعة لها، ومناطق نفوذها في الصين لتمكين الولايات المتحدة من التمتع بفرص متساوية ومزايا في استغلال الصين.

وأما حكومة "كنج" الصينية" ، والتى صارت ألعوبة في يد الإمبريالية الأجنبية ، فكان هناك مجموعة من " الماندرين" ، وملاك الأراضي ، وعلى رأسهم الأميرة دواجر (Dowager) منغمسين في حبهم للمسرات والملذات ، والفخامة بسماحهم باستيراد البضائع الأجنبية ، ويعارضون في نفس الوقت أى شئ يضر بالرأسمالية.

سادسًا: صعود الأفكار البرجوازية للإصلاح السياسي

في نفس الوقت الذي لقيت فيه الصين هزيمة كاملة في حرب ١٨٩٤/ ١٨٩٥ متمنشيًا ذلك أيضًا مع ما أصبحت الصين فيه في حالة من التجزئة من جانب القوى الإمبريالية ، انطلق جانب من الطبقات المثقفة للمطالبة بإصلاحات سياسية . وهؤلاء المثقفون المفعمون بأفكار رأسمالية وطنية كانوا على دراية بأن وضع الصين لا يمكن أن يشهد إصلاحًا ببساطة بشراء الآلات والأسلحة من الخارج. وكان أملهم أنه من خلال الإصلاحات السياسية ، فإن على الصين أن تسلك طريق الرأسمالية. وكانت أفكارهم هذه متطابقة مع تصاعد طبقة البرجوازية .

والواقع أن السيطرة الأجنبية على الحياة الاقتصادية في الصين مع التعديات المتكررة على الأراضي الصينية ساعدت على انتشار روح المقاومة بين جماهير الشعب الصينيى.

وكانت حكومة "كنج" المزعنة دومًا للقوى الإمبريالية تفعل ما وسعها الجهد لقمع هذه الأنشطة الوطنية للشعب الصيني ، حتى صار معروفًا بأن مقاومة الإمبريالي هو صنو لمقاومة "كنج" (Qing) وعلى سبيل المثال ، حينما قامت

بريطانيا بغزو التبت في عام ١٩٠٤ وقتلت ١٥٠٠ من سكانها ، فإن حكومة "كنج" لم تسارع لنجدة أهل التبت ، بل تواطأت أيضًا في إبرام معاهدة سرية مخزية بين الحكام المحليين والبريطانيين.

سابعًا: تطور أوضاع الحركة البرجوازية الديمقراطية

لقد بدأت البرجوازية الثورية في تكثيف أنشطتها بشكل فعال. وقد تجلى ذلك في ١٩٠٥ حيث ظهرت عدة منظمات برجوازية ديمقراطية ثورية تزعمها الدكتور " صن يات صن" (Sun Yat-Sen) منذ عام ١٨٩٤، واختارت هذه المنظمات الدكتور صن رئيسًا، واتخذت لها شعارات من أمثال " أطردوا المانشو " و" استردوا الصين"، وأقيموا جمهورية، و"ساووا امتلاك الصين"، فضلاً عن طرد المانشو "واستعادة الصين ، "وتكوين الدولة "، وأن حياة الشعب لابد أن تتغير، وفي ظل مبدأ القومية.

اندلاع ثورة أكتوبر ١٩١١

لقد سبق اندلاع ثورة أكتوبر ١٩١١، وبتوجيهات من الدكتور " صن يات صن" أن تمكنت عدة فئات من طلاب العلم الصينيين من تشكيل حركة توحد صفوفهم تدعى "رابطة القسم (La Ligue de Jureé) منذ شهر سبتمبر ١٩٠٥، لكي تتزعم ما صار يعد بعد ذلك ثورة ١٩١١. وكان أبرز أهداف هذه الهيئة طرد "المانشو"(Chasser Les Tartares)، وإقامة جمهورية صينية، وإعادة توزيع الأراضي. وكان التصور أن تنفيذ هذه الأهداف يتم على ثلاثة مراحل ، المرحلة الأولى: وهى فترة يسود فيها الحكم العسكري الذي يحقق الإطاحة بعنصر المانشو، وتكون المرحلة الثانية: فترة يتم خلالها تلقين الشعب الصيني مبادئ الديمقراطية، ونظم الحكم الدستوري، والمرحلة الأخيرة: وهى التي يتم فيها إقامة الحكومة الدستورية بالفعل .

ولقد حدد "صن" مبادئ الثورة الثلاثة والتى تتمثل في الشعارات الثلاثة التي أطلق عليها " شعارات الشعب الثلاثة" وهى: القومية ، والديمقراطية، والاشتراكية".

لعله من المناسب أنه قبل عرض الحادثة التي أشعلت الثورة ، الإشارة إلى أن حكام المانشو بعد اختفاء الإمبراطورة "تزو – هسى" من مسرح "المانشو" هو طفل اسمه " بو – يي"(Pou-Yi)، وبرز في عهده القصير عدد من الرجال الذين شرعوا في عَجلَة من أمرهم في القيام بمشروعات ترمى إلى تحديث البلاد وإصلاحها كان أبرزهم " يوان شيه كاى " (Yuan-Shi-Kai). وقام هؤلاء بمحاولات منها تحديث نظام الامتحانات ، وإنشاء جامعة بكين عام ١٩٠٦، كما عملوا على فصل الجهاز القضائي عن الإدارة الحكومية ، وأنشؤوا وزارات مختلفة ، بل إن "يوان شيه كاى " قام بإنشاء جيش حديث على النمط الألماني ، إلى غير ذلك من الإصلاحات التي أخذت طابع التسرع .

وبعد ذلك ، اتجه نظام الحكم الإمبراطوري إلى وضع صيغة دستورية عام ١٩٠٦، ثم اتجه النظام إلى إجراء انتخابات عامة – ولكنها كانت في حقيقة الأمر بمثابة تدابير تتم بعد فوات الأوان. وبدا واضحًا أن أسرة " المانشو" في طريقها إلى الزوال .

ثم حان وقت الواقعة الحاسمة ، التي فجرت الثورة في مدينة "هنكو" (Hankou) وذلك بأن وقع انفجار في أحد مصانع الذخيرة التابع لمؤيدي الثورة في "هنكو". وتمرد جنود الإمبراطور في المناطق المجاورة على قياداتهم. لكن الثورة انتشرت بسرعة مذهلة في ربوع الصين دون أن تكون لها خطة عامة للتنسيق. وعلى الفور ، تكونت حكومة ثورية في كانتون ، وطلبوا من الأجانب تأييدهم – الأمر الذي أرغم حكومة "المانشو" على استدعاء " يوان شيه كاى " لقيادة القوات الإمبراطورية. وقد تمكن " يوان شيه كاى" بمهارة فائقة من الحصول على حل وسط مع الثورة.

وفي ٢٤ ديسمبر ١٩١١ كان " صن – يات – صن" لا يزال في الولايات المتحدة عندما نشبت ثورة أكتوبر ١٩١١، فبادر بالحضور إلى الصين من أجل توحيد كيان الحركة . وتم انتخابه على الفور رئيسًا لجمهورية "نانكنج" . وفي

١٢ فبراير ١٩١٢ ، وبعد مفاوضات عسيرة بين الدكتور صن ويوان شيه كاى ، أضطر الإمبراطور الطفل إلى التنازل عن العرش ، وإعلان الجمهورية ، ولكن الدكتور صن تنازل –عن طيب خاطر– ليوان شيه كاى عن رئاسة الجمهورية.[١]

فشل ثورة ١٩١١ ومغزى ذلك تاريخيًا

لقد كان من أسباب فشل هذه الثورة أن رجل الحرب " يوان شيه كاى" الذي كان يمسك بنواصي القوة العسكرية خلف حكومة " كنج" وكان يتمتع دومًا بحظوة لدى القوى الإمبريالية ، أصبح بطل ثورة ١٩١١ وهو الذي جنى ثمارها ، وتمكن من إجبار بلاط "كنج" على ترك مواقعهم لصالحه، كما أجبر حكومة "ناكنج" على تسليم كافة سلطاتها له، وأن ينتخبوه أول رئيس للجمهورية الصينية. وفي مارس ١٩١٢ أعلن " يوان شيه كاى" نفسه رئيسًا للجمهورية . وكان هذا الإعلان علامة على هزيمة أول ثورة برجوازية في الصين.

وعلى الرغم من هذا الإخفاق، فإن الثورة البرجوازية لسنة ١٩١١، كان لها أثر تاريخي عميق لسببين: أولهما، الإطاحة بأسرة "كنج" التي حكمت الصين لما يقرب من ثلاثمائة سنة، كما أنها جعلت استعادة ما يزيد على ألفى سنة من النظام الإقطاعي الملكي أمرًا مستحيلاً.

الوضع في الصين قبل الحرب العالمية الثانية

الواقع أن الفترة الممتدة من ١٩١٢-١٩١٩ ، تعتبر واحدة من الفترات حالكة السواد والفوضى التي ميزت تاريخ الصين الحديث. ففي ظل حكم " يوان شيه كاى" ، استمر في حكم البلاد عدد من كبار ملاك الأراضي. ومن ناحية أخرى، فإن "شيه كاى" اتبع سياسة " بيع البلاد"، كما أنه وبمساعدة القوى الإمبريالية حاول أن يتوج نفسه إمبراطورًا . لكنه أخفق في تكوين ملكية. وبعد وفاته المفاجئة في عام ١٩١٦، ذهبت السلطة إلى أيدي خلفائه –وكانوا

---

(١) د. فوزي درويش، الشرق الأقصى –الصين واليابان ، الطبعة الثالثه، ص ص ١٣٠-١٣١.

مجموعة من القادة العسكريين أُطلق عليهم اسم " أمراء الحروب". فحينما كانت بكين من نصيب أحد هؤلاء، حاول إقامة حكومة مركزية أصبحت بمثابة غنيمة لأمراء الحروب (Warlords)، والبيروقراطيين وشتى السياسيين الذين لا يتسمون بالنزاهة. ولقد استمرت مختلف القوى الإمبريالية في استغلال الشعب الصيني بحرية تامة ، وفرض إرادتها على الشؤون الصينية باستخدام هذه الأداة المسماة "بالحكومة المركزية" في بكين.

على كل ، فإن هزيمة ثورة ١٩١١ قد أجبرت البرجوازية الصينية على الاعتراف بأن الجمهورية الديمقراطية التي يرنون إليها لم تولد بعد. ومن ناحية أخرى ، فإن العمال والقرويين والبرجوازية الصغيرة الموجودة في المدن الكبرى والصغرى ظلت تعاني وتئن تحت وطأة الظلم الذي لا يعرف الرحمة من الإمبريالية الخارجية من ناحية ، والإقطاع الداخلي من الناحية الأخرى. أما المثقفون ، فكانوا يمضغون المرارة في الظلام بحثًا عن مخرج. فلقد كانت المأساة التي عاشتها الصين أثناء الثمانين عاماً الماضية ، وإخفاق ثورة ١٩١١ ، والحرب الواسعة مع القوى الإمبريالية ، ثم انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا — كان لكلٍ من هذه الأحداث الأثر العميق على المثقفين الصينيين ، وعلى جماهير الشعب المقهورة. (١)

وتجدر الإشارة في هذا المقام ، إلى أن أهم عامل جديد في الوضع السائد في تلك الفترة يكمن في حقيقة أن الطبقة العاملة قد تنامت قوتها نتيجة لتطور الرأسمالية الوطنية ، وزاد عددها من مليون واحد في ١٩١٤ إلى نحو ثلاثة ملايين في عام ١٩١٩، وأنه على الرغم من أن الطبقة العاملة الصينية كانت لا تزال غير واعية سياسيًا بالقدر الكافي، فإنها كانت قد تطورت عشية حركة الرابع من مايو ١٩١٩. فلقد قامت هذه الطبقة بعدة إضرابات رغم أن أيًا منها لم تكن له الصفة السياسية ، لكنها كانت قبل ذلك قد شكلت تنظيمات من مختلف الأشكال ، رغم عدم وجود حزب لهذه الطبقة بعد، أو قيامها بعد بإعداد قيادات

(1) Jian Bozan, and Others Ibid, P.P. 128.133.

للنقابات المهنية. ولكن تحت وطأة القهر الثلاثي المتمثل في الإقطاع، والرأسمالية، والإمبريالية الخارجية، فإن الطبقة العاملة الصينية قد نضجت بسبب الكراهية الدفينة للقوى الرجعية. وكان هذا يعنى في الحقيقة أنه بمجرد أن تقلدت هذه الطبقة زمام القيادة، وأصبحت أيضًا على وعى سياسي، فقد ساعد ذلك على تطورها بسرعة إلى قوة قادرة على القيام بعمل مستقل.

لذا، فإن ظهور هذه العناصر الجديدة في السنوات المظلمة التي أعقبت ثورة ١٩١١ قد جاء مبشرًا بعهد جديد في التاريخ الصيني الحديث متواكبًا مع تقدم التاريخ العالمي ككل.

بداية الثورة الديمقراطية الجديدة

حركة ٤ مايو ١٩١٩

لقد شهدت الحرب العالمية الأولى نهايتها في نوفمبر ١٩١٨، واجتمع الأطراف في مؤتمر فرساى للسلام في باريس، وهم المنتصرون في تلك الحرب في يناير ١٩١٩. وكان الهدف الخفي بين القوى المنتصرة هو تقسيم غنائم الحرب، وتقطيع أوصال البلاد المهزومة، وإعادة توزيع مستعمراتها بينهم.

وفي مؤتمر فرساى كان من بين قراراته أن تحصل اليابان على الحقوق الخاصة التي كانت قد حصلت عليها ألمانيا في مقاطعة "شانتونج" الصينية وغيرها مما أثار حفيظة الصينيين. وفي ٤ مايو ١٩١٩ قام الطلبة في بكين بعقد إجتماع حاشد في ميدان تيان-إن-مين (Tian An Men) رافعين شعار" حافظوا على سيادتنا، وعاقبوا الخونة". وأعلنوا عن تصميمهم على القتال إلى آخر رجل ضد الاحتلال الياباني للأراضي الصينية. وطالبوا بمعاقبة ثلاثة من الخونة الموالين لليابان في الحكومة الإقطاعية، وكان الطلاب بهذه الكيفية أول من قاموا بالفعل بتنظيم إضرابات في قاعات الدرس.

وفي ٣ يونيو، كان هناك اجتماع حاشد شاركت فيه جماهير الشعب الصيني من شتى ضروب الحياة في مدينة شنغهاى. وفي ٥ يونيو قام سبعون ألف عامل

في" شنغهاى أوتانجشان ، و تشانج إكسنديان " بالمشاركة . وكان ذلك بمثابة المرة الأولى التي شاركت فيها الطبقة العاملة الصينية في الإضرابات ، وظهورها على المسرح السياسي. وأمام هذا الضغط الجماهيري ، أُجبرت الحكومة الرجعية في ٢٨ يونيو على رفض التوقيع على معاهدة " ڤرساى".

أثر ثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا على الصين

نظرًا للتطور السريع للصناعة الوطنية بالصين أثناء الحرب العالمية الأولى ، والنمو السريع في قوة شريحتين مهمتين في المجتمع الصيني وهما الطبقة العاملة ، وطبقة البرجوازية ، فقد ظهر طوفان من الأفكار الخاصة بالديمقراطية والحرية والتحرير .

وفيما قبل ثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا ، فإن الحركة الثقافية في الصين كانت تقتصر على نشر ثقافة الفكر الديمقراطي البرجوازي ، لكن ثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا مع ما صاحبها من ثورات البروليتاريا في مختلف الأقطار الأوروبية كان لها أثر عميق على مجرى الأحداث في الصين. وكان نجاح الثورة في روسيا قد وضع نموذجًا أمام الشعب الصيني، وبيَّن له الطريق لتحرير نفسه.

كذلك، كان قيام الحكومة السوڤييتية بإلغاء كافة المعاهدات غير المتكافئة التي كانت روسيا القيصرية قد أبرمتها مع الصين قد أعطى إيحاءً مُعبرًا للصينيين، وعمَّق من تعاطفهم ودعمهم للثورة الاشتراكية . وبانتصار ثورة أكتوبر ، انهمر سيل من الأفكار الاشتراكية إلى الصين ، وأثنى كل من "ماوتسى –تونج " وشواين لاى" على انتصار ثورة أكتوبر الروسية. وأظهر الرجلان يقينهما بالشيوعية ، وأصبحا بمثابة أوائل الصينيين المثقفين اللذين تسلحا بأفكار الشيوعية .

وكانت الحركة الثقافية الجديدة قد أعطت قوة دفع لحركة الرابع من مايو الوطنية . وبهذه الطريقة فإن حركة الرابع من مايو ١٩١٩ قد استطاعت تمهيد الطريق أمام الأفكار الثورية من ناحية ، والاتجاه نحو التنظيم من جهة أخرى لإنشاء الحزب الشيوعي الصيني . لذلك يمكن القول بأن ثورة أكتوبر

الاشتراكية الروسية ، وحركة الرابع من مايو قد غيرتا مجرى التاريخ الحديث في الصين تغييرًا جذريًا.[1]

تأسيس الحزب الشيوعي الصيني وتطور وضع طبقة العمال

بعد حركة الرابع من مايو ١٩١٩، تحركت طبقة العمال إلى الأمام بشكل كبير — حتى أن بعض المثقفين وقد تأثروا بالشيوعية ، شرعوا في الإنضمام هم أنفسهم مع العمال في مقاطعات كثيرة مثل "هونان ، وشنغهاى " وساعدوهم على تنظيم نقابات عمالية ، ونوادٍ ، ومدارس للتدريس لبعض الوقت . لذلك ، فإن الحزب السياسي الماركسي الثوري للطبقة العاملة ظهر إلى عالم الوجود ، وكان ذلك بمثابة أهم حدث في تاريخ الصين الحديث .

وأعلن الحزب الشيوعي الصيني بأن مهمته الأولى إنما كانت لتنظيم حركة طبقة العمال من أجل أن يتم تعبئة كامل قواها ، وأن يتم وجود ترابط بينها وبين الشيوعية . وأقام الحزب الشيوعي سكرتارية نقابة العمال من أجل تهيئة قيادة موحدة لحركة الطبقة العاملة خلال البلاد.

وفي يوليو ١٩٢٢ اجتمع الحزب الشيوعي الصيني في ثاني مؤتمراته القومية في "شنغهاى" لإعداد برنامجه ، وحضره ١٢ وفدًا يمثلون ١٢٣ جهة ، وتبنى المؤتمر العام للحزب إعلانًا يتضمن برنامجه الأساسي الذي أشار إلى الآتي: إنهاء الرأسمالية — الإمبريالية ، والقوى الإقطاعية لأمراء الحروب والبيروقراط هم الذين كانوا يفرضون المصاعب على الشعب الصيني (سواء كانوا برجوازيين أم عمال أم قرويين)، ولهذا السبب فإن الحركة الثورية الديمقراطية ضد هاتين القوتين لها المغزى الكامل .

ومنذ ذلك الحين انطلق الشعب الصيني مصممًا على الثورة النضالية العارمة لتحرير نفسه من براثن الاستغلال ، وتبنى المؤتمر قرارًا يدعو إلى الانضمام إلى الشيوعية الدولية.

---

(١) Jian Bozan, and Others Ibid, P.P. 142-.143.

ويلاحظ في هذا الصدد أن الولايات المتحدة واليابان وبريطانيا العظمى" كانوا بمثابة القوى الإمبريالية الرئيسية الذين شاركوا في عملية " التخاطف" على الصين بعد الحرب العالمية الأولى، وأن الولايات المتحدة حققت مكاسب جمة نتيجة التعريفة المفروضة على الذخائر والعتاد الحربي ، وتقديم القروض للمتحاربين . أما اليابان ، فلقد استفادت في توسعاتها الإمبريالية من هذه الحرب الكبرى ، بل استفادت بأكثر مما استفادته القوى الأخرى من الصين ، مما زاد في مطامعها تجاه السيطرة المنفردة على الصين . وأصبحت الإمبريالية الأمريكية ، والإمبريالية اليابانية المتنافسين الرئيسيين بين مختلف هذه القوى الإمبريالية للسيطرة على الصين .

مؤتمر واشنطن ١٩٢٢

لقد كان أهم ما يشغل بال اليابانيين أثناء الحرب العالمية الأولى في حقيقة الأمر، هو حصولهم على إجازة من الدول الأخرى بما تم إحرازه من مكاسب في الصين . ففي أوائل ١٩١٧ عقدت اليابان معاهدات سرية تعترف فيها هذه الدول بحق اليابان في "شانتونج" ، وتلك الجزر التي كانت تسيطر عليها ألمانيا في المحيط الهادي ، والواقعة شمالي خط الاستواء – أي أن اليابان أرادت أن تجعل لهذه المعاهدات السرية صفة الاعتراف العلني .

وتجدر الإشارة إلى أنه أثناء انعقاد مؤتمر ڤرساى للصلح ، لم يكن الاهتمام الوحيد لليابان هو فقط الحصول على إقليم شانتونج والجزر التابعة لألمانيا ، وإنما كان اهتمامها منصبًا كذلك على الحصول على بيان رسمي يصدر من المؤتمر يعلن المساواة العنصرية، لذلك فإن الوفد الياباني قدم اقتراحا فيما بعد بأن يتضمن ميثاق عصبة الأمم المتحدة مادة تنص على هذه المساواة – لكن أستراليا والولايات المتحدة ممثلة في شخص رئيسها قد تصدى كل منهما لهذا الاقتراح. ولقد كان السبب في ذلك خشية أستراليا من الغزو العنصري للرجل "الأصفر"، باحتمال هجرته إليها مما يعمل على تخفيض مستوى معيشة سكانها. أما بالنسبة للرئيس الأمريكي ، فقد كان يعنيه بالدرجة الأولى عدم استثارة الرأى العام الأمريكي حول هذه النقطة ، لذلك تم الاكتفاء باسترضاء اليابان عن طريق

إسناد مهمة الانتداب على جزر المحيط الهادي إليها .

ولقد كانت كل من اليابان وإنجلترا، والولايات المتحدة خلال عام ١٩٢٠ في سباق محموم لتدعيم سلاحهما البحري ، حيث باتت هناك تكهنات بقرب وقوع حرب بين الولايات المتحدة واليابان. ومن ناحية أخرى، فلقد استمر انعقاد هذا المؤتمر الهام على مدى ثلاثة أشهر، من نوفمبر ١٩٢١ إلى فبراير ١٩٢٢. وحضر المؤتمر مندوبون من بريطانيا ، وإيطاليا ، وبلجيكا، والبرتغال ، واليابان ، والصين ، كما حضره ممثل عن هولندا بصفة مراقب، ولكن الولايات المتحدة لم توجه الدعوة إلى روسيا باعتبارها قد حادت عن معسكر الحلفاء .

أما المعاهدات التي تمخض عنها المؤتمر، فكانت ثلاثة كالآتي :

(١) المعاهدة الأولى

وتنص على المحافظة على الأوضاع الراهنة في المحيط الهادي، وتم توقيع هذه المعاهدة في ١٣ ديسمبر ١٩٢٣ بين كل من فرنسا، وإنجلترا ، واليابان ، والولايات المتحدة . وأهم ما أسفرت عنه هذه المعاهدة ، أنه صار مفهومًا – ضمنيًا – أنها تنهي التحالف الياباني – البريطاني ، تحت إصرار الولايات المتحدة التي كانت ضد هذا التحالف .

(٢) المعاهدة الثانية

وتنص على إنقاص أعداد وحمولات الأساطيل الحربية ، وأن تكون نسبة الأساطيل بين الولايات المتحدة ، وإنجلترا ، واليابان ، وفرنسا، وإيطاليا هي بنسبة ٥ : ٥ : ٣ : ١٫٧٥٠ : ١٫٧٥٠ على التوالي ، وألا يزيد الحد الأقصى لحمولة السفن الحربية الكبيرة عن ٣٥ ألف طن، وحاملات الطائرات عن ٢٧ ألف طن ، وإعلان هدنة بحرية لمدة عشرة أعوام قادمة .

(٣) المعاهدة الثالثة :

أما المعاهدة الثالثة التي أسفر عنها هذا المؤتمر الهام ، فقد تمثلت أهميتها فيما سمى "بميثاق الدول التسع "، والغرض منها هو احترام سلامة أراضي جمهورية الصين واستقلالها السياسي والإداري. وتم توقيع هذه المعاهدة في ٦ فبراير

١٩٢٢. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه في نفس الوقت الذي كان فيه المؤتمر منعقدًا، دارت محادثات جانبية بين وفدى كلٍ من الصين واليابان حول إقليم "شانتونج" أسفرت عن موافقة اليابان على سحب قواتها من هناك في غضون ستة أشهر، وإعادة الأراضي المستأجرة، كما أُعيد خط سكك حديد تسنجتاو – تسينان إلى الصين.

والملاحظ هنا أنه على الرغم من أن كل ما يتعلق بالصين هو أمر حيوي هام بالنسبة لروسيا، لكنها كما تم ذكره لم تدع لحضور المؤتمر في الوقت الذي أتخذ فيه هذا المؤتمر قرارات تتعلق بمستقبل الصين أهمها :

- دعم حكومة بكين.
- التأكيد على استمرار سياسة الباب المفتوح.
- إعداد بعض المقترحات الخاصة بإلغاء حق إمتداد القوانين في المستقبل بالنسبة للصين.[1]

احتلال اليابان لمناطق شمال شرقى الصين

حوالي نهاية عام ١٩٢٩ غاص العالم الرأسمالي في أزمة اقتصادية. وجاهدت البرجوازية الاحتكارية في الصين في البحث عن مخرج لها من تلك الأزمة. ولجأت إلى الفاشيين من الديكتاتوريين، ومارست عمليات قهر على الطبقة العاملة – أما اليابان، فقد عمدت إلى مواصلة سياستها الرامية إلى احتلال شمال شرقى الصين ومنغوليا، ثم بعد ذلك الصين بأكملها بل وبقية أجزاء من آسيا إن أمكن لها ذلك. فبدأت حملتها لاحتلال مناطق شمال شرقى الصين.

وفي ١٨ سبتمبر ١٩٣١، قامت اليابان بحملة مفاجئة على منطقة "شينكيانج"، أما مجموعة "الكومنتانج" بقيادة "تشيانج كاى شيك"، فقد اتبعت سياسة "عدم المقاومة" بحيث أن مقاطعات الشمال الشرقي للصين الثلاثة وهى لياو تنج، وجيلين، وهيلو نجيانج، وإجمالي مساحاتها تزيد عن

(1) Grousset, R. Opcit, P.395

مليوني كيلو متر مربع ، وسكانها يبلغون ما يزيد على ٣٠ مليون نسمة، قامت اليابان بضمهم على مدى ثلاثة أشهر. وفي السنة التالية، أقام اليابانيون حكومة تابعة لهم هى حكومة " منشوكو" للسيطرة على هذه المنطقة .

وكان الحزب الشيوعي والعمال والقرويون أول من رفعوا راية المقاومة ضد اليابان. لكن الاحتلال الياباني للصين تسبب في تغييرات بين مختلف طوائف الشعب. فالبرجوازية الوطنية ، التي كانت إلى هذا الحد تعتمد على الكومنتانج بزعامة "تشيانج كاى شيك" بدأت تظهر عدم رضاها عن سياسته بعدم مقاومة اليابان . وفي ديسمبر ١٩٣١ تجمع نحو ثلاثين ألف طالب من كل من شنغهاى، وبيبين ، وتيانجين، ونانكنج، في مدينة "نانكسنج" للتظاهر ضد حزب الكومينتانج لتخليه عن شمال شرقى الصين ، والمطالبة بالمقاومة ضد اليابان، لكنه تم قمعهم من جانب "الكومنتانج".

وأخذت كل من بريطانيا ، وأمريكا تلعبان دور التواطؤ حيال الاحتلال الياباني، وشكلوا ما سمى " بلجنة رابطة الدول لفحص الأمر ". وبعد هذا الفحص ، أوصت هذه اللجنة بأن يتم وضع منطقة شمال شرقي الصين تحت الرقابة الدولية. ولكن هذه التوصية كانت عبارة عن تشجيع اليابان لمهاجمة الإتحاد السوفييتي –لكن الإتحاد السوفييتي تحت قيادة ستالين، كان البلد الوحيد الذي قام بإدانة الاحتلال الياباني .

وفي محاولة من اليابان لإخضاع الصين بضربة واحدة ، شنت اليابان هجمة مباغته على شنغهاى في ٢٨ يناير ١٩٣٢ . وبتصاعد المشاعر ضد اليابان ، قام الشعب الصيني في كافة أنحاء البلاد والجيش بمقاومة هذا الهجوم على غير إرادة "تشيانج كاى شيك". وقام الحزب الشيوعي أيضًا بتعبئة العمال والطلبة في شنغهاى ، ونظموا جيشًا من المتطوعين للقتال على الجبهة ، ولكن بعد أكثر من شهر من النضال عانى المدافعون عن شنغهاى مُر الهزيمة بسبب أعمال الخيانة التي أقدم عليها الكومنتانج.[1]

(1) Jian Bozan, Shaoxunsheng, Opcit. P

المسيرة الطويلة للجيش الأحمر وزعامة "ماوتسى -تونج"

لقد عمد "تشيانج كاى شيك " في يونيو ١٩٣٢ إلى تجميع قوة عددها ٥٠٠ر٠٠٠ رجل لتطويق وكبت القواعد الثورية . وبحلول فبراير ١٩٣٣، تم دحر هذا الهجوم الذي بدأه "تشانج كاى شيك" من جانب الجيش الأحمر الذي حارب ببسالة تحت قيادة " تشو إين لاى" (Shou En Lai) وقام القرويون في الجيش الأحمر بإصدار إعلان في ١٧ يناير ١٩٣٣ يعبرون فيه عن عزمهم على التعاون مع كافة القوات لمقاومة اليابان ووقف الهجمات على الجيش الأحمر ، وأعلنوا استعدادهم لتسليح الجماهير والحفاظ على حقوقهم الديمقراطية ، وصارت هناك استجابة من جانب القادة العسكريين الوطنيين في الكومنتانج، أما الكومنتانج بقيادة " تشيانج كاى شيك" فقد كان رده على هذه النداءات بالاستمرار في الاستسلام لليابانيين . وبدعم من الولايات المتحدة ، وبريطانيا واليابان ، وألمانيا ، وإيطاليا ، قام تشيانج كاى شيك بإطلاق حملته الخامسة الكبرى بتطويق ودهم القواعد الثورية في أكتوبر ١٩٣٣. وفي ١٦ أكتوبر ١٩٣٤ قامت القوة الأساسية للجيش الأحمر الصيني بترك القاعدة الثورية الأساسية في " جيانكسى"، واندفعت محطمةً حصار العدو وبدأت ما سمى بالمسيرة الطويلة (Long March).

وخرج الشيوعيون الصينيون في جماعات صغيرة ، الواحدة تلو الأخرى من دائرة الحصار لبدء تلك المسيرة الطويلة التي طوقت أنباؤها الآفاق بما تضمنته من مشقة بالغة ، ونظرًا للمسافة الهائلة التي قطعوها في هذه المسيرة التي اتخذت اتجاه الجنوب أولاً على أمل تلقي جانبًا من الدعم من إقليم فوكين ، ثم انحرفت ناحية الغرب ، لتصعد بعد ذلك ومعها أسلحتها وأمتعتها ونساؤها وأطفالها متجهة نحو الشمال لمسافة عشرة آلاف كيلو مترًا سيرًا على الأقدام ، واستمرت ما يزيد على سنة حافلة بالكوارث والمصاعب في مقاطعة "شانسي" (Chensi)[1].

---

(1) Grou sset, R. Ibid, P.P.151-152

وتابعت القوات اليابانية زحفها للاستيلاء على كل منشوريا . وبعد أن تحقق لها ذلك ، عملت على تكوين حكومة محلية ، كما تمت الإشارة وأعلنت أستقلال منشوريا تحت اسم جديد هو "منشوكو" في عام ١٩٣٢. ووضع اليابانيون على رأس هذه الدولة المصطنعة إمبراطور الصين السابق " بو – يي " (Pou-Yi) .

ورفضت الصين أن تصبح بمثابة مستعمرة يابانية ، كذلك وقعت الحرب الصينية الثانية في عام ١٩٣٧. وقد تعللت اليابان في ذلك بأن أرواح اليابانيين تتعرض للخطر، كما عمدت اليابان كذلك إلى مباغتة الصين بضربة قبل أن تستكمل استعداداتها العسكرية بقيادة " تشانج كاى شيك" الذي كان عدوًا لدودًا لليابانيين. ولما وقعت حادثة على الحدود بين القوات الصينية والقوات اليابانية عند مدينة " أوين – بنج" (Ouen Ping) في يوليو ١٩٣٧ طالبت اليابان بسحب الجيوش الصينية من الشمال وكان معنى ذلك أن مصير الشمال الصيني سوف يكون شبيهًا بمصير منشوريا، فرفضت حكومة " تشيانج كاى شيك " هذا الطلب ، وزحفت الجيوش اليابانية إلى شنغهاى ، ونانكنج في السنة التالية ، بل وعلى شمال الصين بأسره ، وجانب من الصين الوسطى بينما لجأت حكومة تشيانج كاى شيك إلى منطقة (تشونج كنج) لمعاودة القتال بعد ذلك .

وتجدر الإشارة إلى أن اليابان حينما باشرت عدوانها على الصين عام ١٩٣٧، كانت إحدى الشروط الهامة التي اشترطتها الولايات المتحدة للعودة إلى علاقاتها الودية مع اليابان هى: جلاء اليابان الكامل عن الصين والهند الصينية ، ولكن اليابان أعلنت الحرب على الولايات المتحدة في ٧ ديسمبر ١٩٤١. وكانت الولايات المتحدة بحاجة ماسة إلى استمرار المقاومة الصينية من أجل شل أكبر عدد ممكن من اليابانيين، وانشغالهم في هذه المقاومة ، ولذلك تقابل " تشيانج كاى شيك " مع الرئيس الأمريكي " روزفلت"، ونستون تشرشل في القاهرة في الفترة من ١٢ – ٢٦ نوفمبر ١٩٤٣، وذلك للتباحث ، عن كيفية مواصلة الحرب، وعن الشروط الواجب فرضها على اليابان في حالة استسلامها .

ولقد قاد "ماوتسى – تونج" الثورة منذ بدايتها في إحدى ضواحي "

كيانجسي". ومن خلال معاركه الأولى، وعلى مدار سبع سنوات اتضحت أمامه معالم الخطة التي تحققت بها انتصاراته والمتمثلة في: "تركيز القوة عند الهجوم، وتشتتها عند الانسحاب"، ثم دحر العدو عن طريق المباغتة، وتجنب الوقوع في مفاجأته. وفي ذلك يقول "ماوتسى-تونج": "حين يتقدم العدو نتراجع نحن، وحين يتوقف نعكر عليه صفو هدوئه، وحين ينسحب نلحق به".(١)

على أن زعامة "ماو تسى-تونج" ارتبطت بيوم أول أكتوبر ١٩٤٣ الذي انطلقت فيه المسيرة التاريخية الطويلة التي قاسى أفرادها الأهوال حتى أنهم حينما بلغ بهم الجوع مبلغه مع عدم وجود المؤن اضطروا إلى أكل أوراق الشجر، وحتى نعال أحذيتهم بعد أن يقوموا بغليانها في الماء، حتى لجؤوا إلى حمالات أسلحتهم الجلدية، بل وأحزمة بنادقهم يتبلغون بها حتى تبلغ المسيرة منتهاها.(٢)

وقام "ماوتسى-تونج" في نوفمبر ١٩٤٧ بإعادة تنظيم قواته، فعَّين مندوبين سياسيين مع قواد الجيش، وعمل على تحديد أهدافه السياسية وتعليماته العسكرية، وتبلورت هذه التعليمات في الحرب المتمثلة في محاربة وحدات العدو المشتتة، أو المنعزلة، والسيطرة الكاملة في العام الأول على المناطق الريفية، وعلى مناطق الإقطاع القديمة، ثم تجنب الدخول في معارك الاستنزاف أو العمليات العسكرية المرتجلة، وجعل العدو يستنفذ أكبر قدر من موارده المادية، وكسب تقدير ومحبة القرويين لمساعدتهم في أشغالهم وتيسير إمدادهم بالمواد الغذائية، وطرح المبادئ السياسية والشعارات لتحريرهم حتى لا يستطيع ما أُطلِق عليهم "الوطنيون"، المعارضة في منحهم الأراضي التي نادت بها مبادئ الشيوعية، بأن الأرض لمن يفلحها.

استيلاء الشيوعيين على السلطة في الصين

لقد كان في حوزة من أُطلِق عليهم "الوطنيون" في نهاية الحرب العالمية الثانية أكثر من ثلاثة ملايين جندي صيني مدربين غالبيتهم في أمريكا، ويحملون أسلحة

---

(١) بريفيت آلان: يوم تنهض الصين يهتز العالم، ترجمة: هنري زغيب، ص ٣١.

(٢) بريفيت آلان: نفس المرجع، ص ٣٣.

أمريكية—أما الشيوعيون، فلم يكن في حوزتهم سوى قوة ضعيفة المعدات لا تتجاوز نصف عدد الوطنيين، ولكنهم كانوا قد حصلوا على كميات ضخمة من الأسلحة والذخائر حينما تمكنوا من السيطرة على المناطق التي كان يحتلها اليابانيون في شمال الصين، وفي منشوريا. لكن الروح المعنوية للشيوعيين كانت عالية جدًا ن لأنهم جمعوا بين الدعاية الناجحة، والقيادة الملهمة القادرة، بالإضافة إلى التأييد الشعبي الواسع.

لذلك، فإنه لم تحل نهاية ١٩٤٨ إلا وكانت الصين تقريبًا فيما يلي نهر اليانجتسى شمالاً قد صارت في قبضة الشيوعيين. وبعد ذلك بعام واحد، انهارت مقاومة "الوطنيين" فيما عدا جزيرة فرموزا، وإقليمي سينكيانج، والتبت، في أقصى الشرق. وفي ٢٢ يناير ١٩٤٩ سقطت العاصمكة بكين في قبضتهم بعد انسحاب "تشانج كاى شيك" إلى "نانكنج"، ثم إلى "كانتون"، ثم إلى "هنكو"، و"شنغهاى". وبهذا النصر الحاسم، تم إعلان جمهورية الصين الشعبية في ٢١ سبتمبر ١٩١٩.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن انهيار "الصين الوطنية بقيادة تشيانج كاى شيك" قد وضع الولايات المتحدة في حرج بالغ، إذ كانت الولايات المتحدة قد قدمت إلى الكومنتانج مبالغ من الدولارات لم تنل في مقابلها سوى عداوة الحكومة الشيوعية الجديدة، ونتج عن إصرار الشيوعيين الصينيين على عداوتهم لأمريكا، أن أصبح اعتراف أمريكا السياسي بالحكومة الجديدة أمرًا مستحيلاً. ومع ذلك فإن ضياع الأمل في "الصين الوطنية" من جهة، وواقع أن فرموزا لا تعتبر رسميًا ذات أهمية إستراتيجية للدفاع عن مركز الولايات المتحدة في شرق آسيا. كل ذلك جعل من العبث استمرار أمريكا في تأييد "تشيانج كاى شيك" في معقله الجديد والأخير الذي فرَّ هاربًا إليه في فرموزا (تايوان حاليًا).

وكان من الطبيعي أن تتطلع الصين إلى إعادة بنائها الاقتصادي بعد ثمانية سنوات من الحرب (١٩٣٧—١٩٤٥). ولما كان النصر قد تحقق للشيوعيين، وكان الاتحاد السوفييتي قد أضحى دولة صناعية كبرى يتطلع للحصول على

نصيبه من الصين ، فقد دأبت الصحافة السوفييتية منذ مارس ١٩٤٥ على القول بأنه يجب على الولايات المتحدة التخلي عن سياستها التوسعية في الصين ، وطالبت بعقد مؤتمر سوفييتي – إنجليزي – أمريكي ، لدراسة بناء الصين وتجهيزها. (١)

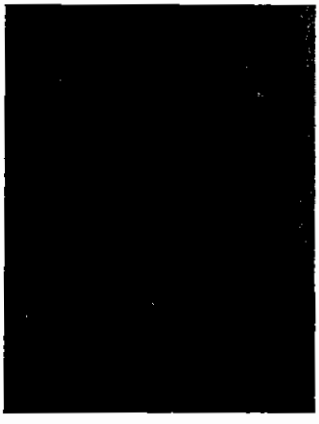

ماو تسي تونج

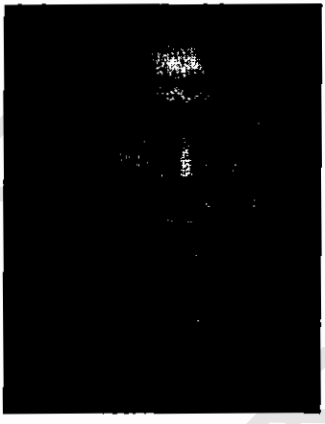

تشيانج كاي شيك

(١) رونوفان .ب. ، تاريخ القرن العشرين ،(ترجمة د./ نور الدين حاطوم)، الطبعة الثانية ، ص ٥٥١ .